دَور المَلك عَبْداللّه الثّاني ابن الحُسَيْن.. "مِنَ الاسْتِقلال.. إلى التّأثير العَالميّ"

الدكتور عماد الخطيب

يمثّل دَور المَلك "داخل المَنظومة الشّرق أوسطيّة" دورًا رئيسًا في ريادة المَوقف وقيادة العمَليّة "السّلميّة العالميّة" فهل ينتقل دوره هذا "خارج تلك المنظومة" كذلك؟

وإذا كان "الاستقلال" هـو المَقصُود؛ لأنّه "يتمـاسّ مع كلّ أردنيّ"، وينتقـل حيث محيطه وبيئتـه، وهو ما يجعله يحـسّ "بالفخر مدى الحياة"، فثمّة مِن ما يديم هذا الإحساس، ومِن ما يضمن له البقاء وكـي نفهـم المُـراد، علينـا أنْ نبحـث فـي دور الملـك التّخطيطيّ المعرفـيّ والتّقييمـيّ العالمـيّ، وعلينـا الاتّفـاق علـى تعريـف مصطلح "المَعرفة" التي هي "المُحيط الأكبر لكلّ ما من شأنه أن يشـكّل منهاجًـا، وهـي المكـوّن النّموذجـيّ للبيانـات والمَعلومـات"؛ فالملـك لا يقف عند حدّ، ويتجـاوز كل حدّ، ويعتمد علـى المُباشـرة في توصيـل المَعلومة التـي هـي أداة المعرفة، ويبـثّ فـي مجمـل خطاباتـه رسـائل معرفيّة مـن خـلال ذكائـه الفطريّ، ثم معرفته لمستقبله ومستقبل أردنه وعالمه.

فإلى متى يتأخّر العالم في فَهْم ما يقوله الملك!

يجـب ألا يفـوّت العالـم الأوان، وعليـه أن يقتنـع بما يقولـه الملك دائمًـا فـي كوننـا نتشـارك فـي "الحَاجَـات الأساسـية كالطّعام والغذاء والدّواء، والمؤثّرات".

ومـا الحـروب التـي تجري فـي كلّ مـكان إلا واحدة مـن أهمّ تلـك المؤثـرات، التـي يشـهدها العالـم، والتـي قـال عنهـا الملـك بأنّهـا "صنعـت فرقًا فـي رؤيتـي للعمليّة السّـلميّة العالميّـة" ثـم قـال "ذاك موقـف حدّثنـي عنه أحد الرّؤسـاء، يـوم طلبـتُ منـه تحديـد أهـم منطقـة تحتـاج للعمليّـة السّـلميّة على الخريطة، فقام بالإشارة على خارطة الشّرق الأوسـط"، فسـأله: " "لـمـاذا هـي هنا بالـذّات"! فأجـاب: "هي كذلـك هكـذا حدّدهـا المؤثّـرون"، ثـم قـال الملـك: "فعـلا" وسـأل نفسـه: "كيف تمّ حسـابه"! وفي اليوم التّالي أحضر خارطة تشـرح أمام الحضور "كيفية حسـاب أهميّة العمليّة السّـلميّة على العالم" وأخرج الخريطة، وقال إننا سنفترض

أن لا حدود في العالم، وأنّنا رغم انقسامنا إلى شماليّ وجنوبيّ وآخر شرقيّ أو غربيّ، إلا أنّنا نقف على خطوط متساوية المسافات من حاجاتنا.. فلن يأمن أحدنا في وجوده، دون أن يأمنه الآخر!

عندما أُحْرِجَ الحضور من صراحة الملك، وجرأته، طلبوا منه بعد التّصفيق له بحرارة، "أن يكون جاهزًا للإجابة عمّا يحتاجه العالم كي يكون جاهزًا للتّعايش السّلميّ".

وعندما شكر الملك الحضور وأدار حوارًا حول آليات التّعايش، قائلاً: "هكذا وبعيدًا عن التّقليديّة، والنّمطيّة.. شكرًا للأسرة العالميّة التي ربّت فينا هذا النّشاط والجرأة، ثم هل دور الملك ينحصر في المكان الذي هو فيه، وبين أهله وناسه؟ وهل للموضوع الذي نتحدّث عنه علاقة بتطوّر الحياة العالميّة وانتقالنا إلى الثّورة الرّقميّة؟ فثمّة فرق بين المعارف التي قد تصلنا، وبين تلك التي سنستفيد منها، ولما تفوّقت الأجهزة الرّقميّة على البشر اليوم، فقد صار الفرق بين شخص وآخر بالكم الهائل من المعلومات والبيانات التي يستطيع الوصول إليها بعد تخزينها وتناقلها بين الأجهزة التي استفادت من ثورة الاتّصالات.. الثّورة الأكثر تأثيرًا على حاضرنا، وستكون الأكثر تأثيرًا على مُستقبلنا".

لقد سبق الملك زمانه؛ إذ بَشّر بمستقبل "الاستقلال العالميّ"؛ حين قال "إنّ الرّقميّة ستوحّد العالم، وتبعث الأمل لمفهوم حضاريّ آمن، وعادل بين النّاس"، ولقد اهتم الملك بدخول الأردن إلى خارطة "معمّلات التّحوّلات الرّقميّة" التي ستجعل حياتنا أرحب، وستؤثر إيجابًا في حدّ ما كنا لنتخيله قبلها، فصار من المؤكد اختفاء الدّلالات المفاهيميّة لمعنى الاستقلال مجرّدًا عن فوائد الاستقلال..

ونريد عناوين لأبحاثٍ تُدَرّس في "مستقبلنا" قبل "حاضرنا" ونريد ألا تقف احتفالاتنا في الاستقلال عند حدّ المعنى المجرّد للاستقلال، فتخيّل معي، والكلام للملك، عالمًا خاليًا من الظّلم، والمحسوبيّة، وعالمًا على قدر كبير من التّفاعليّة (بين الفرد والآلة) التي تستجيب ويُستجاب لها!

وبالعودة إلى ذاك الرئيس الذي سأله الملك.. نقرأ كيف قيّم الملك إجابته وهو يستخدم عبارة (ما تجهلونه أكثر مما تعرفونه) فهل أحضر الملك خارطة الكرّة الأرضيّة كي يعرّفنا بخطوط الطول والعرض! أم أنّه أجاب عن سؤال هو في ذهن كلّ أردنيّ، بل كلّ من يعيش على كوكبنا، فالمعرفة ليست "معلومة" فقط؛ لأن الملك استطاع من خلال التّأكيد على حقوق النّاس وسواسية البشر، وخصوصًا فيما يتعلّق بالقضيّة الفلسطينيّة من تأسيس "معرفة جديدة لحقوق الكون"، تلك التي تأسّست على معلومة لا تُحدّدها سياسات التّفرقة والعنصريّة، ولا تتأسّس خلف أسوار الحقد والكراهية، والتي تؤسس لمفهوم العدالة، والأمان للجميع، كما قال.

فما هي الإجابة اللافتة لسؤال أحدنا عن معنى الاستقلال؟

إنّها إجابة مَن يرسم خطًا يبدأ من (لحظة اللا – معرفة) ويسير إلى لحظة (المعرفة)، وينتهي بلحظة (المعرفة الأكثر تأكيدًا).. فهل يعي أحدنا ما ترسم يداه.. وهي اللحظة التي أحضر فيها الملك الخارطة؛ ليعلّمنا جميعًا أنّه يقصد إلى اتّحاد العالم، كما أننا نعرف اليوم لماذا تسقط الأمطار فوق ماليزيا وأندونيسيا.. أكثر من سقوطها فوق صحراء الرّبع الخالي مثلا، ولا تفسير لذلك سوى أنّ نزول المطر يرتبط بحاجة الكوكب وناس الكوكب له، وليس لحاجة قطعة ما منه، ولا بحاجة عدد من ناسه فقط!

كم أبدعت يا سيدي في تبسيط فهمك المعرفيّ وكأنّك ترسم لنا بُعدًا مَعرفيًا جديدًا هو "الاستقلال المُفيد"، أي أنّنا إذا أردنا قياس مستوى استقلالنا، فعلينا أن نقيس مستوى أدائنا، أو فهمنا لما يجب علينا أن نؤدّيه، فاستقلالنا مربوط بمدى استفادتنا من معارفنا لضمان وحدتنا وتطوّرنا، وليس أبلغ من قول "اللهم انفعنا بما علّمتنا، وعلّمنا ما ينفعنا"، ولا تعلّمنا ما لا ينفعنا!

وأخيرًا...

فالمستقبل مرهون بالمَعرفة التي هي الأداة الأكثر ضمانًا للنجاح ومنافسة الآخرين على هذا الكوكب، وإنّنا إذ نفاخر العالم باستقلالنا، فإنّنا شغوفون بالاهتمام بمستقبلنا الذي يجب أن نشارك في رسمه، وألا نقف متفرّجين ننتظر "مَن يخطّط لنا"! فالمستقبل الذي نشارك في رسمه.. سنُحسن إدارته، وتولّي مهامّه، ونحقّق ريادته، كما نحبّ أن نعيش، وكما يجب لنا أن نعيش، وعلينا أن ندرك بأنّنا لن نقود العالم إلا بالعلم، ولأنّ العلم مصطلح فضفاض، حدّدناه بمصطلح "المَعرفة"؛ فبالمَعرفة لا بغيرها سنسود، ونقود الأمم كما كانت لنا القيادة من ذي قبل.. وكل عام وأردننا بخير.